

إنحاف القاري
بمنظومة للعلامة المختار السوسي
في
توحيد الكبير المتعالي

تأليف
مصطفى بن الحسن رعيش أبو الدرداء

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على النبي الأمين ورضي الله عن الصحابة أجمعين.

أما بعد ،

فهذه منظومة للعلامة المختار السوسي وقفت عليها في كتاب "منار السعود عن تفراوت الملوذ ومدرستها العتيقة" وهي نادرة غير مشهورة فأحببت إتحاف القراء بها لاسيما ما ذكر فيها من حث الناس على توحيد الله سبحانه والبعد عن عبادة القبور مما هو منتشر في بلادنا¹. وقبل ذلك أذكر مقدمة أبين فيها بعض جهود العلامة محمد المختار السوسي في بيان التوحيد والسنة فأقول وبالله التوفيق والسداد :

قال محمد المختار السوسي في ترجمة أخيه أحمد : "جالسته يوما قبل وفاته ونحن نشرب الأتاي في يوم شديد الحرارة في دهليز مدخل داره وقد نشط واستدار بعض قواه من الصحة فتناول كناشا فيه قصائد مختلفة من القصائد التي ينشدها المسمعون من الفقراء في حلقات أذكاهم وفيها بين قصائد نبوية غلو شديد في الاستغاثة مما لا يقبله الموحدون. فالتفت إلي وقال عجبا أو يجوز طلب أي شيء في الغيب من غير الله أيا كان ؟ فقلت له وقصدي أن أسبر غوره من هذه الناحية وماذا يترأى لك أنت من ذلك ؟ فقال إن الذي يترأى لي أن مثل ذلك لا يجوز البتة وهل يملك غير الله ما يطلبه أجنبي منه؟ ولا أخال أن الصحابة كانوا يطلبون منه ما يطلبه أمثال من يقولون

¹ ومؤلف الكتاب محمد أيت بومهوت الوسخيني ذكر هذه المنظومة في سياق بيان جهود علماء سوس في التوحيد فجراه الله خيرا ورفع درجته .

هذه القصائد فالذي يظهر لي أن العبودية لله معناها الاخلاص إليه في الطلب حتى لا يطلب من غيره إلا إذا كان هناك ما يجعله الله في يد العبد من الأمور الدنيوية والإعانة فيها أو الإرشاد والتعليم في الأمور الأخرى وأما أن يطلب من العبد أمر غيبي لا يملكه ولا يملك لنفسه أن يتناوله متى شاء فبعيد أن يجوز ولكن أنا أقول بحسب ما أدرك فماذا تقول أنت يا عالمنا ؟ يقول ذلك وهو يضحك فقلت له الله أكبر الآن علمت أن الله أرادك لخير حيث أراك من أفراد الله وحده بالتصريف المطلق ومن تخصيصه بقضاء الحاجات ما ضل عنه كثير ممن وقعوا في الافراط والغلو في جانب الأنبياء والأولياء حتى أطروهم من حيث لا يشعرون على حين أنهم يظنون أنهم لهم بذلك معظمون. ثم فاتحته في شرح ما عندي من ذلك وجرى على لساني الفرق بين التوسل بجاه إنسان إلى الله مع ما فيه من الاختلاف بين العلماء فثر لساني بما لعز الدين بن عبد السلام والسبكي وابن تيمية وابن عبد الهادي والشوكاني وغيرهم² مما أستحضر وبين الاستغاثة بمخلوق التي لا يحوم حولها المخلص في عبوديته لله العارف ما لله ما للعبد. فأسهبت في ذلك حين وجدته منصتا لما أقول يحسن الاستماع ونحن منحدرين إلى البستان الذي في شمالي الزاوية وطالعون فمرت لنا عشية طيبة في هذا الدرس المتشعب أبين له ما عندي في الموضوع فوافق منه ذلك ما كان الله أراه إياه

² " الواجب ترك ذلك لكن ليس بشرك وإنما هو من وسائل الشرك. فلا يكون صاحبه مشركا ولكن أتى بدعة تنقص الإيمان وتضعف الإيمان عند جمهور أهل العلم لأن الوسائل في الدعاء توقيفية" من كلام الشيخ ابن باز انظر مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (7 ص 129-131) . وانظر مجموع الفوائد واقتناص الأوابد للعلامة السعدي ص 228 والفتاوى والدروس في المسجد الحرام لعبد الله بن محمد بن حميد (ص 93)

تفضلا منه ومنة وكثيرا ما يقول إن الفقراء الصادقين لأشياخهم سرعان ما يستولي عليهم الغلو والإطراء من حيث لا يشعرون وربما أداهم ذلك إلى أعاجيب"³.

قال - رحمه الله - في معرض ذكره لموت أحمد الهيبة حيث أخفى أهله موته وصلي عليه سرا : "...وقد سمعت من يقول كان الأولى دفنه إزاء موسم الثلاثاء حيث يقام موسمه الذي يقال له أخليد فيكون شيخ الموسم وقديسه على عادة الناس فقد أعوز الموسم مشهد يزار كما كان لكل المواسم فحين كان الموسم أسس من أول يوم باسمه ويضاف إليه موسم أخليد فالأولى أن يدفن إزاءه ليكون ذلك أثبت لذكره. فقلت لهذا القائل أو عجيب عندك أن يبقى موسم بلا مشهد ؟ ثم حكيت له قصة ذات أنواط فاستغفر"⁴.

وقال في ترجمة ابراهيم بن عبد الملك بن الحسن بن داود : "ممن أمضوا حياتهم في قرية أيت داود وكانت له شهرة بالصلاح وقبره في المقبرة القديمة مشهور مقصود إلى الآن بالزيارة والاستشفاء ممن أصيبوا بقروح وبثور في جسده يذرون عليها من تراب قبره على عادة الناس وإن خالف الشرع"⁵.

وقال في ترجمة عبد الواحد الرئيس : "وكان من أصحاب الشيخ الوالد وكثيرا ما يشتكي ممن لا يحترمون مقامات الصالحين ويدعون الناس إلى التعلق بالله وحده

³ المعسول (2 ص 107 - 108) .

⁴ المعسول (4 ص 243) .

⁵ المعسول (19 ص 73) .

ونسيان التعلق بالمخلوقين فكنت أحاول بلطف أن أبين له مقصودهم ولعله ينظمني في سلوكهم⁶.

وقال: "... وأما الاستغاثة فلا يمكن أن يتوقف مسلم في أن المستغيث كافر إن اعتقد المستغيث مدلول ما يقول ورحم الله الوالد الذي كان يمنع أصحابه من ذلك منعاً باتاً وله حكايات معهم⁷.

وقال أيضاً: "... وفي الخميس أمضيت غالب النهار في الكتابة إلى ما بعد العصر فذهبت مع زوار الشيخ محمد بن ابراهيم⁸ إلى مشهده القريب والناس يتداولون على فرقتين بلسان واحد هذه الجملة (يا الله يا الله يا عزيز ياربي) يقولها فريق ويردها عليه فريق آخر وهذه عادة كل الناس في سوس حين يسوقون ذبيحة إلى مشهد صالح من الصالحين وقد مشيت أنا إزاء الناس في طريق خاص ولم أصحابهم خوف الازدحام ثم وجدنا ما حول المشهد ممتلئاً بالطلبة وعلى رأسهم فقيه تامانارت الاستاذ سيدي عبد الله بن مسعود التبيوني من أبناء عمومتنا يقطن هذه القرية من زمان فقرأ الطلبة ياسين والذابحون يذبحون الكباش التي ساقوها فليذهب قول مالك لا يساق الهدي إلا إلى الكعبة في مدارج الرياح فأين من يصيخ إليه⁹.

⁶ المعسول (19 ص 238) .

⁷ خلال جزولة (1 ص 122) .

⁸ الواجب على المسلم تجنب الحضور في مثل هذه المواسم وإن كان يعتقد بطلان ما فيها إلا إذا أراد أن ينكر عليهم . وهذا في

هذا الزمان عسير

⁹ خلال جزولة (3 ص 33 - 34) .

وقال أيضا: "...وقد كان رفيقي سيدي التهامي اقترح علي أن أخاطب مقام الشيخ الجم الكرامات بأبيات اقتداء بوالدي في عينيته المشهورة فلم أنشر بذلك صدرا لأنني لا أقدر أن أخاطب إلا بما أفهمه بلا غلو ولكنه ألح وأبى علي إلا أن أقول فقلت هذه القصيدة المهلهلة النسج على عمد ليتمكن للناس هنا أن يفهموها ولم أقل فيها إلا معتقدي في الشيخ وأمثاله رضي الله عنهم بلا غلو لأننا نحاول أن لا نخرج عن السنة في كل شيء على قدر طاقتنا"¹⁰.

وقال أيضا: "... فمررنا على المجزرة التي يذبح فيها الذابحون ما يقدمونه هديا إلى المشهد على عادة الناس عند طلبهم حاجاتهم وقد اجتهد العلماء أن يبينوا للناس ما في ذلك ولكن من يصيخ إلى السنة والناس عبيد ما ألفوه . وقد قال مالك لا يساق الهدي إلا إلى الكعبة ولا بن سليمان الرسموكي كلام فصل فيه في لحوم أمثال هذه الذبائح إلى ثلاثة أقسام ما ذبح لوجه المسوق إليه لا توكل وما ذبح لوجه الله صدقة على المساكين توكل وما لم يتضح أمرها فإنها مكروهة"¹¹.

وقال أيضا: "ونحن نشد الرحال للعلم بالأمكنة لا للمساجد وللمقابر وإننا لنزور الزيارة السنية إن وقفنا على المشاهد ولا نزكي على الله أحد (وَمَا أَذْرِي مَا يُفَعَّلُ بِهِ وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوجَىٰ إِلَيَّ)"¹².

¹⁰ خلال جزولة (3 ص 122) .

¹¹ خلال جزولة (3 ص 128) .

¹² خلال جزولة (4 ص 68) .

وقال أيضا في ترجمة محمد بن العربي العلوي: "كان سيدي محمد بن العربي طودا راسخا لا يتزلزل في مبدئه هذا وقد ملك عليه مشاعره حتى أنه ليتأثر تأثرا بليغا إذا كان يصور لمناظره عظمة الله وقدرته التي لا تدرك ولا تكيف فأين منها ضعف ابن آدم وإن كان بلغ ما بلغ من الشفوف والمنزلة بالنبوة والاصطفاء وما شفوفه ومنزلته إلا بكمال عبوديته فأين هذا بما يراد أن يناط بالمصطفين الأخيار من أنهم حفظة العالم وأقطاب الكون وأنهم وأنهم؟" ¹³.

وقال في معرض حكايته لما وقع لابن العربي العلوي ممن يدافعون عن الأضرحة حيث رموه بسب السلطان وهم في ذلك كاذبون وأن الله أطفأ تلك الفتنة: "فانطفأت اللظى التي أججها الحسدة الذين يريدون أن ينتقموا لأضرحتهم التي تنسف هياكلها بحجج التوحيد الدامغة وهكذا من يعتمد على ميت لا ينفع ولا يضر يحتاج هو أن يدافع عنه ثم لا يمكن له أن يدافع عنه إلا بإفك وبهتان وزور واختلاق" ¹⁴.

وقال أيضا في تفسيره للإيمان في سورة العصر: هو "أن يعتقد العبد أن الله تبارك وتعالى هو الذي ينفعه وحده وأنه هو الذي يرزقه وحده لا أباه ولا أمه ولا شيخه ولا الأنبياء ولا الملائكة فكل هؤلاء هم عبيد الله" ¹⁵.

¹³ مشيخة الإلغيين (ص 196).

¹⁴ مشيخة الإلغيين (ص 192).

¹⁵ تفسير سورة العصر بالشلحة.

وقال أيضا : "الانسان إذا كان في ضيق فالذي يدعو الله تبارك وتعالى فذلك رسخ فيه الإيمان والذي يدعوا أسيدي فلان أسيدي فلان ونسي الله تبارك وتعالى فذلك لم يرسخ فيه الإيمان"¹⁶.

وقال أيضا بعد ما حكى ما وقع للشيخ التامودزقي حيث قال له بعض المريدين وهو مريض رجاءك لا تفتني فتبرأ الشيخ من هذا الفعل ثم قال المريد الرجاء في الله فقال له الشيخ التامودزقي هكذا أريد منك. "وهكذا يقول جميع المشايخ كل أحد يجعل رجاءه في الله"¹⁷.

وقال أيضا : "الله يحلف بما شاء من مخلوقاته أما نحن فلا يجوز لنا أن نحلف إلا بالله فكل من حلف بغير الله فقد عصى النبي صلى الله عليه وسلم"¹⁸.

وقد نبه - رحمه الله تعالى - في مواضع كثيرة من كلامه على البناء على القبور وتزيينها الذي هو من وسائل الغلو في القبور.

قال في ترجمة محمد بن عبد الله الإلغي حيث بنيت عليه قبة فجاءت الأمطار فأسقطتها : "...والأخرى ما نهت عنه الشريعة بأحاديث صحاح لا مغمز فيها لغامز ولا يمكن أن ترد بأعمال المتأخرين الأدنين وحين يأبى الأحياء أن يقفوا عند نهىها فإن أرواح الموتى تجار إلى الله في عليها أن لا تبقى متصلة ببدعة من البدع فجاءت

¹⁶ تفسير سورة العصر الشلحة .

¹⁷ تفسير سورة العصر بالشلحة .

¹⁸ تفسير سورة العصر بالشلحة .

الأعاصير الإلغية والقواصف التفرميتية تؤمن على دعواتها فمالت على الجدران
تسفيها هباء منثورا وما لا أسس له فلا بد أن ينهار والمعدوم شرعا كالمعدوم
حسا"¹⁹.

قال في ترجمة محمد ايكيك: "أتذكر أيضا من أحوال المترجم أنه ضد تاحزابت²⁰
التي أولع بها الطلبة في مجامعهم فكان ينكر على أصحابها إنكارا شديدا والحق معه في
ذلك لدى العارفين المنصفين. ومن أحواله أيضا أنه ضد تزوين المقابر والمباهاة بها
وتجليل درابيزها بالألبسة المتنوعة. ومما يوتر عنه أنه كلما صادف غطاء جيدا فوق
ضريح وآمن على نفسه أن يراه أحد أنه ينزعه ويقول إن الأحياء أولى به من الأموات
وذلك لعمر الحق عين الصواب وإلا فبأي كتاب أو بأية سنة يكسى الأموات الألبسة
الرفيعة ويبقى من الأحياء مثل الأستاذ لا يجد ما يرتدي به أو يتزر؟ فهل هكذا سنة
الصحابة والتابعين في مقابر أصحابهم والمحترمين عندهم؟ اللهم إننا نشهد أن ذلك
ليس من السنة المحمدية في شيء وأن ذلك إنما هو سنة المبتدعة الذين يجدون ممن
يتسمون بسمى العلماء - وهم في جهلهم يعمهون - حجة وبرهانا لا يستمد إلا من
المألوف في العصور المتأخرة"²¹.

¹⁹ المعسول (1 ص 173).

²⁰ قال محمد المختار السوسي ... ثم لو كان الترتيل وحده هو الذي ينقص السوسيين أصحابنا هؤلاء لكان غلطة من ذي
مروءة عثر ولكن الأدهى والأمر هذه القراءة المحدثه التي يسمونها "تحزابت" وهي بلاشك حرام طالما قام علماءنا
كالأدوزيين والجشتميين ينادون في الأسواق والمواسم بحرمة القراءة بها ولكنهم بكل أسف لا يصادفون إلا آذانا صما وقلوبا
غلظا فلا تسمع من مجامع الطلبة إلا الصياح بها صياحا ينقطع به نياط القراءان الكريم ولا حول ولا قوة إلا بالله (مدارس
سوس العتيقة ص 35 . 36)

²¹ المعسول (8 ص 183).

وقال في ترجمة محمد المختار : "توفي 1285 ودفن في تندوف في مشهد عليه قبة بناها الشريف مولاي علي ابن التهامي من تلاميذه وهو صهره على بنت من بناته ولم يكن من عادة العرب في كل الصحراء بناء القباب إلا أن تندوف تأثرت بما يجاورها من المغاربة الذين ألفوا هذه البدعة التي نهى عنها الشارع كذا قال سيداتي"²².

وقال أيضا لما رأى بعض القباب عليها لباس: "أين من يلبس الأحياء يا عباد الله في هذا الوقت الذي عري فيه الأحياء وتلبس فيه أعواد الموتى أهكذا يا عباد الله دين الإسلام ؟ أهذا مما يقبله العقل ؟ فلم أشعر أن قلت... ثم ذكر أبياتا في بيان هذه البدعة قال في آخرها :

رفع النواوس²³ عندنا حقا من البدع الفظيعة

لكن لدا الجهال ليس يعد عندهم شنيعة²⁴

وقال أيضا : "...وأنا أجري على بالي حياة سيدي محمد بن مبارك الذي هو أحد المؤسسين الأولين للدولة السعدية كما هو معلوم في التاريخ وهو من أهل أوائل القرن العاشر وقد قلت هكذا تكون قبور السنين فلا قبة ولا بدعة"²⁵.

²² المعسول (18 ص 160) .

²³ قال الناظم في الحاشية : النواوس قبر النصرى وهم الذين يزوقون قبورهم باعتناء أما نحن فنهينا عن ذلك .

²⁴ خلال جزولة (1 ص 80 - 81) .

²⁵ خلال جزولة (3 ص 54-55) .

وقال ردا على من قال بجواز البناء عليها : "كالبيضاوي الذي خالف الجمهور فأباح البناء على القبور وهو معذور - كما يظهر - فلم يمارس الحديث كثيرا وإلا فما يصنع بحديث عائشة في الصحيح وهو معروف عند أرباب الفن فلا نطيل به"²⁶.
يقول بعض الناس أن في إشادة قبور الصالحين تعظيما لهم في أعين الناس ونحن نقول لهم إن الشارع ما منع من البناء عليها في الأحاديث الصحاح إلا سدا للذريعة لئلا يقع الناس في ما وقع فيه الجهال والنساء اليوم من كونهم ومن كونهن . وفي الموضوع مؤلفات.²⁷

وقد بين رحمه الله أن من بين أسباب انتشار المواسم تشجيع المحتل الفرنسي لها.
قال في ترجمة سيدي سعيد التاماناري: "من آل الحسن بن يحيا هو الذي يقام عليه موسم تمانار التجاري ولم يتكون هذا الموسم إلا قريبا في عهد القائد سعيد التيكزيريني ولكن لم يقم إلا بأمر من المراقب ومثل هذا من المحتلين كثير"²⁸.
وكان رحمه الله معجبا بدعاة التوحيد وكلامهم؛ قال في معرض كلامه على أجوبة الشيخ الفقيه حسين بن ابراهيم الجزولي عن أسئلة حول زيارة القبور وكيفيةها: "...وما أعجبني منه أنه قال : لا يمسح أحد القبر ولا يقبله ولا يمسه لأن ذلك من عادة النصارى وكذلك الأخذ من تراب الصالح فهو بدعة فالتبرك في الحقيقة

²⁶ خلال جزولة (1 ص 81 حاشية)

²⁷ خلال جزولة (1 ص 81 حاشية)

²⁸ المعسول (19 ص 93) ولمزيد فائدة انظر إضاءات حول الزوايا والطرقية زمن الحماية ص 122 فما بعدها للدكتور

باستعمال ما كانوا عليه من الأوصاف الدينية والأمر الشرعية²⁹ . وكيف لا يكون محمد المختار السوسي على هذه الحال وقد تلقى هذه التربية من والده فقد كان - رحمه الله - معلقا الناس بالله لا بغيره.

فهاك بعض أحواله من خلال كلام ابنه عليه :

قال رحمه الله : "ومما يربي عليه أيضا أصحابه ويواخذهم به مواخدة دائما بأقواله كما يربيهم عليه بأفعاله وأحواله الاعتقاد الجازم بأن الفاعل حقيقة ومجازا هو الله تعالى فهو بنفسه لم يكن ينسب لنفسه أي فعل خارق للعادة بل يقول إن الله هو فاعل ذلك بنا أو يقول إن الله استنهض الهمة أو ما أشبه ذلك وكلما طلب منه فعل شيء يتعلق بالغيب كالأولاد أو رجوع غائب أو الوقوع على ضالة يقول إننا نطلب من الله ذلك ونضرع إليه وكذلك لم يكن يألف لسانه عند الاستغاثة إلا الاستغاثة بالله ولم يسمع منه قط أنه استغاث بشيخه المعدري ولا بغيره اشتهر بهذا كل الاشتهار ولهذا تربي أصحابه على هذا النمط فلم يكن يصدر عن ألسنتهم عند العثرات إلا الاستغاثة بالله دائما ومتى رأى أحدهم يستغيث باسمه أو باسم غيره من الأولياء ينهره فقد حكي لي الاستاذ سيدي الحاج مسعود الوفاوي أنه كان مرة مع الشيخ من أيت باها إلى سيدي أبي السحاب في قبيلة مسكينة والشيخ على بغلة وقد أردف وراءه أحد أصحابه والفقراء كثيرون منتشرون فعثرت البغلة بالشيخ وبرقيقه فاستغاث الرقيق باسم الشيخ فنهره الشيخ وأمره بالنزول وقال له أدلك على الله وتريد أنت أن

²⁹ خلال جزولة (1 ص 56) .

تجعلني إلهك ! أتعثر البهيمة بشيخك نفسه وتريد أن ينفعك فيما لم ينفع به نفسه ؟
ووقع مثل ذلك للشيخ سيدي ابراهيم بن صالح التازروالي فقد رافق الشيخ يوما
على بغلته فعثرت به بغلته فاستعان بسيدي أحمد ابن موسى جده على عادة أهله فقال
له الشيخ أحمد ابن موسى هو الذي أدلك عليه أم الله الذي خلقتك وخلق أحمد ابن
موسى (يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ
يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ
ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٦﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَفَوْىٰ عَزِيزٌ)
... إلى أن قال وأيا كان فلم يعرف عن الشيخ وعن أصحابه الاستهتار بأسماء الأولياء
في عثراتهم كما هو معهود عند غيرهم بل لا يتجاوزون أسماء الله تعالى وتلك لعمرى
منقبة لهم تكفيهم بين المناقب الكثيرة التي لهم (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ فَلْيَلَا مَا تَذَكَّرُونَ)³⁰

وقال أبوه الشيخ الإلغى : لا ينسب الفقير كل كمال أو صلاح صدر منه أو إليه إلا
لربه وحده فالواجب على الفقير إن نسب إليه شيء من ذلك أن يبادر إلى نسبته إلى ربه
وليتعود ذلك دائما فيتبرأ من الدعوى بمقاله وبحاله لأن ذلك هو الحق الصراح فمن
أكرمه الله بهذا المقام فقد أكرمه بمقام عظيم في الشريعة فلا ينسب إلا لله ولا يستغيت
إلا بالله ولا يرى كل شيء إلا من الله فذلك ميزان الحقيقة والشريعة معا... إلى أن قال
فأحب من أصحابي أن ينطبعوا بهذا الطابع فمن عثرت رجله أو بغلته فليستغث بالله

³⁰ الترياق المداوي (ص 106-107) .

وحده فذلك آداب القرآن وهو الشريعة وهو الحقيقة (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ
ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسُ كَفُوراً)
فمن سأل فليسأل الله وحده ومن استعان فليستعن بالله وحده"³¹.

وقد كان محمد المختار السوسي رحمه الله يذم التعصب إلا للحق. قال في معرض ذكره لما يحصل بين طوائف الصوفية من الاختلاف : "...وقد كان القائد وحاشيته على الطريقة الناصرية وهذا السيد على الطريقة الجديدة³² التي تعد إذ ذاك جديدة فكان أصحاب القائد يتغامزون على سيدي الحاج سعيد ويُزُنُونَهُ³³ بما هو براء على عادة الطرق الصوفية بينهم أمس واليوم في قطرنا هذا إذ جعلوا الدين عضين والإسلام طرائق قددا يكاد يكفر بعضهم بعضا نسأل الله السلامة والعافية اللهم اشهد أننا لا نتعصب لأي مسلم على مسلم آخر ولا لطريقة على أخرى إلا لطريقة السنة"³⁴.

وقال أيضا : "وبعد فإنني أنا مؤلف هذا الكتاب مبدئي هو مبدأ السلفية وأنا أعلن ذلك وأوقن أن الدين الخالص هو ما كان عليه السلف الصالح وما لم يكن ذلك اليوم دينا فلا يكون اليوم دينا وأعرف أن التصوف الذي مدلوله الاخلاص في العمل بالعلم الصحيح هو الحق الذي لا غبار عليه وأن السنة سنة وهي ما صح عن

³¹ الترياق المداوي (ص 141).

³² التيجانية

³³ أي يتهمونه .

³⁴ خلال جزولة (4 ص 70) .

الرسول وإن تمالاً الناس على تركها وأن البدعة بدعة وهي ما لم يثبت عن الرسول وإن تمالاً الناس على اعتناقها فهذه عقيدتي وعلى هذا أحيا وعليه أموت فلا أقلد في ترك سنة ولا في اعتناق بدعة لا شيخا ولا أبا ولا أي إنسان فقد فتح الله بفضله أعيننا بما تلقيناه من السنة الصحيحة فلا نغتر في قبول بدعة لا بكرامة ولا بخرق عادة ولا بشهرة أحد لأننا عودنا أنفسنا أن نعرف الرجال بالحق لا أن نعرف الحق بالرجال³⁵."

"فإن السلفي من يعرف الرجال بالحق لا من يعرف الحق بالرجال³⁶". وقد تبين لك من الكلام السابق معنى التصوف الحقيقي وهو المبني على الاخلاص والتمسك بالكتاب والسنة وقد أكد ذلك أيضا بقوله: "التصوف الصافي والدين الاسلامي البحت مدلولان على شيء واحد فمن اعتنق التصوف الخالص كما هو ونجاه الله مما ألصق به عن عمد أو جهل من البدع فإنه ما اعتنق ألا الاسلام الخالص نفسه³⁷".

وقال أيضا: إنني منذ عرفت التصوف الحقيقي الصافي وعرفت ماهية ما يسميه المحدثون السنة الحقيقة الصافية أيقنت أنها صنوان لا يصح لأحدهما لإنسان إلا مع الآخر فالسنة المقروءة لأفعاله وأقواله واعتقاده والتصوف لإخلاص قلبه وتهذيب

³⁵ مقدمة الترياق المداوي .

³⁶ المعسول (15 ص 160).

³⁷ المعسول (5 ص 17) .

خلقه وتمايزه وقوة روحانيته فمن فرق بينهما فإنما هو جاهل بأحدهما فمن كان كابن القيم وزروق والجيلاني وأمثالهم يحصل له الأمران معاً³⁸.

ليس لب التصوف في جوهره لبس المرقعات ولا التقليد بالسبحات ولا الحلق المستديرات ولا الإغراق والغلو في محبة الشيوخ ولا إرسال العذبات ولا الانحياش إلى طائفة دون طائفة بل التصوف هو الاستقامة على السنة الصحيحة التي كان عليها الرسول وأصحابه والصدر الأول من السلف الصالح رضي الله عنهم فكيف يفلح من يعمل عن قصد عملاً لم يعمل به الرسول محتجاً بأن فلانا يفعل ذلك لا ها الله لا خير إلا في السنة ولا فلاح إلا لمن يحرص على أن لا يخرج عما صح عن خير المرسلين الذي أمرنا بالإقتداء به وحده³⁹.

فهذه بعض أقواله في مثل هذه المواضيع ومن أراد الاستزادة من ترجمة المؤلف فعليه بكتاب "السيرة الذاتية للعلامة رضى الله محمد المختار السوسي مجريات أطوار حياته"⁴⁰ ولم يكن محمد المختار السوسي وحده من كان يدعو الناس إلى التوحيد وترك البدع في سوس بل هناك علماء آخرون ذكر اسم بعضهم في بعض ما تقدم ومن بين العلماء أيضاً الذين ساروا على هذه الطريق علي بن عدي الافغلاني قال عنه محمد المختار السوسي : "...وقد شاهد مرة رجالات القبيلة تمالاًوا على تقديم

³⁸ السيرة الذاتية للعلامة رضى الله محمد المختار السوسي مجريات أطوار حياته (ص 54)

³⁹ السيرة الذاتية للعلامة رضى الله محمد المختار السوسي مجريات أطوار حياته (ص 52 - 53)

⁴⁰ انظر لمزيد فائدة "إسعاف لإخوان الراغبين بتراجيم ثلة من علماء المغرب المعاصرين (ص 284)

الذبائح للأضرحة فصار ينادي (لا لا إن ذلك بدعة فسوق الهدي لغير مكة ضلال) فصار ينادي على ذلك بتلك العبارة المنسوبة للإمام مالك لكن هيهات أن يرجع الجهلة بالموعظة وكانت أحواله كلها حسنة محمودة⁴¹.

وقال في ترجمة الحاج الحسن بن مبارك التامودزتي: "...فكان إماما عظيما ومرشدا حكيما وسنيا نابذا لكل بدعة ولو اعتادها غيره من الصوفية فقاوم التوغل في الأشياء وإشادة الهياكل عليهم وسوق الهدي إلى مشاهدهم فنهى عن المنكر بيده وبلسانه فكم من شجرة كانت ذات أنواط قطع وكم قبر كسر عليه الجص حتى قبر شيخه المعدري⁴²".

وقال عنه أيضا: "...كان ينهى عن جص القبور وعن تمييزها وهو الذي كسر جص قبر شيخه سيدي سعيد بعد ما جصصه بعض الفقراء وسمعت أنه فعل مثل ذلك بقبور أخرى كقبر سيدي سعيد شيخه وكان أيضا ينهى عن الذبح على القبر ويقول إن من قصد بذلك وجه الله وأنه صدقة فليذبحه بعيدا عن القبر وكان أيضا عن البناء على القبور ناهيا وقد عمد بعض فقرائه الاكماريين إلى بيت على قبر أبيه قديم يهدمه فتجارى إليه أهله فمنعوه وكثيرا ما يقطع الأشجار التي يعلق فيها الجهلة الخرق ويحرقها ويشتت الأحجار التي تزار ولهذا حفظ الله قبره من هذه البدعة وقد وقفت عليه أنا وجملة من إخواني المراكشيين حين زرنا إلغ - سنة 1354 - كما بيناه في

⁴¹ رجالات العلم العربي في سوس (ص 135).

⁴² رجالات العلم العربي في سوس (ص 136).

"مراكش إلى إلغ" فشهدنا قبرا سنيا ولكن يعلوه من المهابة والجلالة عند من يعرف المدفون فيه ما يعلو كثيرين ممن عليهم القباب المشيدة والدرايز المزخرفة والأغطية اللامعة"⁴³. ومن بين العلماء كذلك أبو زيد الجشتيمي حيث كان " يتقيد بالشرعية ولا يتجاوز الحدود المرسومة فلا يتطرح على أعتاب الأضرحة كما يفعل بعض الأميين الجاهلين ولا يطلب من المقبورين ما هو من اختصاصات الله سبحانه وتعالى بل نجده ينفر من زيارة الأضرحة إذا تيقن أو غلب على ظنه أن الزائر يقع في المحذور وكما فعل عندما استشير في زيارة بعض الأضرحة فنظم قصيدة منها:

إنك لو تسبح ألف عام تزور في الليالي والأيام
مقابر الأخيار ممن ارتفع ما أحد يعطيك ما الله منع⁴⁴

وقال عبد الله بن محمد بن عبد الله التملي كما جاء في الأجوبة الروضية عن مسائل مرضية: "الاعتماد على استنطاق الحروف لإظهار المغيبات وإخراج السارق لا محل ولا يفيد إذ هو من قواعد الكذب واستعمال ذلك فسق وبدعة مؤذن بتجريح فاعله شهادة وإمامة وقد نص العلماء على بطلان الصلاة خلف من يضرب الخط

⁴³ المعسول (19 ص 16) .

⁴⁴ شعر الجشتيمين لليزيد الراضي (ص 144) .

والاستسفال ونحوه مما فيه التطلع على الغيب وذلك لا يخفى على من طالع
المختصرات فضلا عن المطولات والله يوفقنا وإياكم لا تباع السنة"⁴⁵ .

وبهذه المقدمة يتبن لك بعض جهود محمد المختار السوسي في بيان التوحيد والسنة.
فأسأل الله أن يتقبلها منه وأن يرفع درجته في الدنيا والآخرة وأن يجمعنا معه جميعا في
الجنة بغير حساب ولا عذاب .

مصطفى بن الحسن رعيش أبو الدرداء

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.

⁴⁵ فقه النوازل في سوس قضايا وأعلام (ص 395).

أما الآن فهالك المنظومة مع تعليقات آيت بومهاوت حفظه الله :

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ تَنْجَابَ عَنَّا الْعَوَائِدُ	أَلَمْ يَأْنِ أَنْ تَلْتَأَحَ فِينَا الْفَرَاقِدُ ⁴⁶
أَلَمْ يَأْنِ أَنْ تُجْلَى مَوَاضِي النَّهْيِ فَقَدْ	تَغَشَّتْ بِأَصْدَاءِ الضَّلَالِ الْفَرَانِدُ ⁴⁷
أَلَمْ يَأْنِ أَنْ يَنْضَمَّ شَمْلُ كَأَنَّهُ	قَوَارِيرُ مَاءٍ صَادَمَتَهَا الْجَلَامِدُ ⁴⁸
فَكُلُّ بَنِي قُطْرِي تَوَانَتْ قُلُوبُهُمْ	وَنَحْنُ حَصَى قَدْ بَدَّهَ مَنْ يُبَادِدُ
وَمَا ضَمَّنَا مِنْ بَعْدُ غَيْرُ عَوَائِدِ	تَسَاوَى لَدَيْهَا مَنْ يُقُودُ وَقَائِدُ
وَمَا إِنْ عَلِمْنَا أَضْلَاهَا غَيْرَ أَنَّهُ	عَلَيْهَا مَضَى الْأَبَاءُ جَدُّ وَوَالِدُ
نُجَاهِدُ فِي أَنْ لَا تَحُولَ مَصَالِحًا	فَإِنْ سَوَاهَا عِنْدَنَا لِمَاسِدُ
ضُرُورَةٌ إِنَّ الْوَالِدِينَ تَشَدَّدُوا	عَلَيْنَا إِلَى أَنْ خَامَرَتْنَا الْعَوَائِدُ
غَدًا وَاجِبًا بِالطَّبَعِ مِّنَّا تَشَدَّدُ	كَذَاكَ عَلَى أَوْلَادِنَا أَنْ يُسَاعِدُوا

⁴⁶ التاج: ظهر .

⁴⁷ جلى السيف: صقله. والمواضي جمع ماض: السيف والفرند: جوهر السيف ووشيه .

⁴⁸ الجلامد جمع جلمود : الصخر الأملس .

عَسَاكِرُنَا الَّتِي أَصَمَّتْ بِذِكْرِهَا الـ	مَسَامِعَ إِذْ سَعَدَ الْحُظُّوَظُ مُسَاعِدُ
وَأَبْطَالُنَا الَّذِينَ دَوَّخَ بَعْضُهُمْ	بِلَادَ السَّبَانِينَ وَ(الْفُونُسُ) شَاهِدُ ⁴⁹
أَحْيَلَ الْجَمِيعُ كُلَّهُمْ عَيْسَوِيَّةً	بِسُوءِ جُدُودٍ نَحْسُهَا مُتَزَايِدُ
فَحَوَّلَ ذَاكَ الْمَجْدَ وَآسَفًا إِلَى	هَوَانٍ بِهِ رُكْنُ السِّيَادَةِ سَاجِدُ
كَمَا أَلْفَوْا الرَّايَاتِ لَا يَتَكَبَّرُو	نَ عَنْهَا قُبِيلٌ إِذْ هُمْ أُسْدُ حَوَارِدُ
وَرَايَتُهُمُ الْآنَ قَدْ خَفَقَتْ عَلَى	ضَلَالٍ لَدَيْهِ مَا تَنَكَّبَ وَاحِدُ
يُطَارِدُ بَعْضُ مِنْهُمْ الْبَعْضَ طَبْعُهُمْ	قُبِيلٌ وَقَدْ عَظَّتْ حُرُوبٌ شَدَائِدُ ⁵⁰
كَأَتَمُّهُمُ وَالْجَوُّ - يَنْشَقُّ - عَثِيرُ ⁵¹	يُزَاحِمُ أَكْنَافَ السَّمَاءِ وَيُصَاعِدُ
وَرَايَتُهُمْ تَحْكِي خَوَارِقَ قَلْبٍ مَنْ	تَوَلَّى وَأَبْطَالَ الْكُفَاةَ تُجَالِدُ ⁵²

⁴⁹ الفونس أو الفونش أو الأدفونش : ملك " إسبانيا " إنتصر عليه المسلمون في معركة "الزلاقة" بقيادة يوسف بن تاشفين

عام 479 هـ .

⁵⁰ عظت الحرب : اشتدت .

⁵¹ العثير : الغبار .

⁵² الكفامة : جمع كفى كغنى : الأبطال .

وَقَدْ نُظِّمْتَ تِلْكَ الصُّفُوفُ وَأَقْبَلْتُ لَجَمْعٍ بِهِ كُلُّ الْهَضَابِ مَوَائِدُ⁵³
 جُنُودُ الْكَمَالِ إِذَا أَطْلَتْ بِهِ عَلَى الْـ يَوَانِينِ هَاتِيكَ الْجُنُودُ الْخَوَاضِدُ
 وَلَكِنْ جُمُوعُ الْعِيسَوِيِّ نَحَائِسُ فَضَلَّتْ وَهَاتِيكَ الْجُنُودُ سَعَائِدُ⁵⁴
 فَأَحْوَالُنَا هَاتِي يَرْقُ لَهَا الْجَمَا دُ مِنْهَا وَيَرْتَنِي مُبْغِضُ وَمُبَاعِدُ
 وَلَا وَاحِدٌ يَنْهَى وَلَا مُتَتِّهِ يَرَى وَلَا عَاقِلٌ يُلْفَى فَيُلْقَى الْمَسَاعِدُ
 وَهَيْهَاتَ طَمَّ الْبَحْرُ فِينَا فَأَغْرَقَ الْـ جَمِيعَ وَذَاكَ الْبَحْرُ هَاتِي الْعَوَائِدُ⁵⁵
 خَطَا الْكُلُّ نَحْوَ الْمَجْدِ خُطْوَةَ عَارِفٍ مِنْ النَّاسِ مَا يُدْنِيهِ مِمَّنْ يُبَاعِدُ
 وَنَحْنُ نَسِيرُ خَبْطَ عَشَوَاءَ فِي الْوَرَى فَلَمْ نَذِرْ مَنْ نُنْيِيهِ مِمَّنْ نُبَاعِدُ⁵⁶
 وَآرَاؤُنَا شَتَّى وَلَا رَأْيَ حَازِمٍ لَدَيْهَا فَيُجَلَى شَتُّهَا الْمُتَزَايِدُ
 فَصِرْنَا وَإِنْ كَانَ اسْمُ شَعْبٍ يَضُمُّنَا أَجَانِبَ وَالْحَالَاتُ فِينَا شَوَاهِدُ

⁵³ الهضاب جمع هضبة : الأكام والتلول .

⁵⁴ العيسوية : النصراني نسبة إلى عيسى . واحدة : عيسوي .

⁵⁵ طم البحر أو الماء : غمر و كثر.

⁵⁶ يقال " خبط خبط العشواء " إذا تصرف في الأمور على غير بصيرة ، والعشواء : الناقة التي لا تبصر أمامها.

وَإِذْ أَبْنَاءُ جَدِّ قَدْ تَشَعَّبَ رَأْيُهُمْ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ تَوَاخَّوْا أَبَاعِدُ⁵⁷
تَخَالَفَتِ الْأَرَاءُ حَتَّى تَخَالَفَتْ بِوَحْدَةِ رَبِّ هُوَ - لَا شَكَّ - وَاحِدُ
فَشَرَّقَ عَزْمُ الْبَعْضِ وَالْبَعْضُ غَرَبَتْ عَزَائِمُهُ وَالْبَعْضُ يَقْظَانُ رَاقِدُ
وَبَعْضُ أَضَلَّتْهُ الزَّخَارِفُ فَاعْتَدَى يُقَاوِمُهُ ذَاكَ الْهَبَا وَيُقَاعِدُ
يُري النَّاسَ أَنَّ السِّرَّ فِي طَيِّ رَاحَةٍ فَصَارَ يُمَنِّئُهُمْ بِهِ وَيَوَاعِدُ
فَلَا سِرُّهُ يَبْدُو فَيُعْلَمُ كُنْهُهُ وَلَا مَيْنُهُ يُدْرَى فَتُلْغَى الْعَوَائِدُ⁵⁸
إِذَا صَادَفَتْ مِنْ أَلْفِ قَوْلٍ قَوْلَهُ لَهُ فَهُوَ شَيْخٌ لِلْخَبَايَا مَشَاهِدُ
وَإِنْ بَانَ رَأْيُ الْعَيْنِ أَنَّه مِنْ سَجَا حَ أَكْذَبُ كَذِبًا عُيُونًا تُشَاهِدُ⁵⁹
وَقُلْنَا كَلَامُ الشَّيْخِ أَعْلَى مِنْ أَنْ يُرَى لَدَا مِثْلِنَا فَهُمْ لَهُ وَالْمَقَاصِدُ

⁵⁷ تواخوا : كانوا إخوة.

⁵⁸ الكنه : حقيقة الشيء وغاية . والمين : الكذب.

⁵⁹ "سجاج" بنت الحارث التميمية ، ادعت النبوة في خلافة أبي بكر . فتبعها خلق كثير من قومها . ثم اتفقت مع مسيلمة الكذاب فتزوجها وصالحها على نصف غلات اليمامة ولما قتل مسيلمة لحقت بأخوالها "تغلب" بالجزيرة فماتت عندهم . وقيل : إنها أسلمت وحسن إسلامها وانتقلت إلى البصرة وماتت بها وصلى عليها سمرة بن جندب وهو أمير على البصرة معاوية سنة 55 هـ .

فَعَالَتْ بِنَا تِلْكَ الْمَسَائِلُ وَاسْتَوَتْ
لَصِيدٍ مَشَانَحُو الضَّلَالِ الْمَصَائِدُ

وَبِالطَّبْعِ لَا يَذْهَبُ مِنَ الصَّرْفِ بَهْرَجُ
إِذِ انْتَفَتِ الْأَبْصَارُ وَهِيَ النَّوَاقِدُ

فَكُلُّ مَقُولٍ عِنْدَنَا فَمَصْدَقُ
لَنَا فِكْرَةٌ فِي نَقْدِ ذَاكَ تُجَاهِدُ

فَالْتُ بِنَا الْأَحْوَالُ حَتَّى اسْتَحَالَ فِي
وَأَبْصَارُ كُلِّ هُنَّ أَفْكَارُهُمْ وَمَا

أَلْسَنَا نَظْنَ الضَّرِّ وَالنَّفْعِ مِنْهُمْ؟
وَإِنْ لَمْ تُصَدِّقْهُ النُّهَى وَالْعَقَائِدُ

فَلَوْ لَمْ نَظَنَّ الشَّيْخَ رَبًّا لَمَا انْتَحَتْ
هَوَاجِسَنَا الْأَرْبَابَ مَنْ هُمْ أَعَابِدُ

يُتَرَى وَاحِدًا مِنْ أَلَدَا قَبْرِ وَاحِدٍ
وَمَنْ ظَنَّ ذَا فَهُوَ لِلَّهِ جَاحِدُ

يُؤَالِي السُّجُودَ بِالْخُضُوعِ كَأَنَّهُ
إِلَيْهِ وَجُوهُ الْكُلِّ وَهِيَ سَوَاجِدُ⁶⁰

يُنَاشِدُهُ فِي نَيْلِ حَاجَةٍ
يُخَاطِبُهُ فِي حَاجَةٍ وَهُوَ سَاجِدُ

فَهَبْ أَنْ ذِي آدَابٍ دِينُكُمْ أَلَمْ
يُسَامِتُ رَزَاقَ الْوَرَى أَوْ يُشَاهِدُ⁶¹

يُنَاشِدُهُ فِي نَيْلِ حَاجَةٍ
وَرَبُّكَ يَذْهَبُ دِينَهُ إِذِ يُنَاشِدُ

تَقُلْ فِيهِ - لَا تَغْلُوا - النُّصُوصُ الشَّوَاهِدُ

60 انتحلت : اتجهت.

61 سامت : قابل.

أَلَمْ يَكُ هَذَا مَهِيْعاً لِضَلَالَةٍ؟ إِذَا نَزَلْتُ تَعِي لَدَيْهَا الْمُرَاشِدُ؟
أَلَمْ يَكُ سَدّاً لِلذَّرِيعَةِ أَضْلُ مَا نَدِينُ بِهِ أَمْ عَوَّرْتَنَا الْأَثْمِدُ؟⁶²
وَلَكِنْ إِذَا مَا أَغْوَزَ الْعَقْلُ لَمْ يُفِدْ سِوَاهُ كَكْفٍ أَغْوَزَتْهَا السَّوَاعِدُ⁶³
عَلَى حَالِنَا فَلَيْبِكَ مَنْ كَانَ بَاكِياً فَقَدْ أَغْوَزَ الصَّدْيَانِ مَنَا الْمُوَارِدُ
فَلَا دِينَنَا يَبْقَى فَيُزَجَى انْتِعَاشُنَا وَلَا عَقْلُنَا بَاقٍ لَنَا فَيُسَاعِدُ
تَوَارِيخُنَا هُنَّ الْخُرَافَاتُ لَا الَّتِي تَدَاوَلَا عِنْدَ الرُّوَاةِ الْأَسَانِدُ⁶⁴

⁶² الأثمِد : جمعه أثمِد : حجر الكحل.

⁶³ أعوزه : أفقره وأحوجه.

⁶⁴ " المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العلمية العتيقة بسوس " (ج . 2 ، ص : 112)